

الأكاسرة وأعمال أبطال فارس ، ولأمة الألمان ملحمة النيبيلونغايلد وهي من آثار القرن الثالث عشر للميلاد ، وقد دارت حول بطولات الفتي المغوار سيفغريد وحول مغامراته الغرامية ، ولأمة الفرنسيين ملحمة رولان التي ضمت مجد فرنسة في عصورها القديمة .

وهكذا كان لكل أمة من تغنى بأمجادها ، وهكذا كانت الملحمة قصة شعرية لأعمال بطولة خارقة . ولئن فات العرب أن ينشثوا ملحمة ، وأن يقوم فيما بينهم من يجمع شعرهم الحربى ويربط بين أجزائه ، وفي وحدة عمل قصصى ، وفي وحدة هدف وغاية ، ولئن حال دون ذلك ، عند العرب ، قلة انطلاقهم وراء التخيلات الميثولوجية والحوارق الغيبية ، وضعف صبرهم على الحديث الطويل والرواية التي تطلب جلدأ وتحليلاً وإعمال فكر وسعة خيال ، وخروجاً عن حيز الذات والمنفعة القريبة المنال ، ولئن حال دون ذلك عندهم انصراف شعرائهم إلى استخدام الشعر للتعيش عن أقرب سبيل ، وإلى جعل الأدب في خدمة البلاط والمناسبات ، فلم يفهم أن يخوضوا المعارك بأقلامهم ، وأن يسردوا القصص الحربى ويصفوا مواقف القتال ، وأن يجعلوا أنفسهم على المسرح مفاخرين ، متوثبين ، منفعلين ، على غير سنة الملاحم التي تطلب من الشاعر أن يكون راوية يروى أعمال غيره . وأن يسير العمل من وراء الستار .

وهكذا ، إن حرم الأدب العربى الملحمة المشبهة لملاحم الأهم المشهورة ، فلم يحرم تلك الملحمة الكبرى من الشعر الحماسى ، إلا أن تلك الملحمة مقطعة الأوصال ، قد اشترك في وضعها عدد لا يحصى من الشعراء ، وقد عمل على جمع شتاتها عدد من الأدباء من مثل أبى تمام والبحترى وغيرهما ، فى دواوين كبرى تورد القصيدة أو المقطوعة إلى جنب القصيدة أو المقطوعة ، من غير ما واصل إلا واصل الحوار والموضوع الواحد . ولو أتيج لتلك القصائد من يؤلف ويربط لكان للعرب من عنرة الفوارس ، وجساس بن مرة ، وكليب بن ربيعة ، والحارث